هو أشدّ منكم قوّة وآثاراً في الأرض ولم يستطيعوا الوقوف أمام دعوات الأنبياء . فلا ثروة الأثرياء ولا قوّة الطواغيت استطاعت الوقوف بوجه الرسالات السماوية . وقد بيّن القرآن كل هذه الأقسام بشكل واضح . وعندما يستدل في سورة الأحقاف على التوحيد الربوبي يقول : ﴿ **ما خلقنا السمٰوات والأرض وما بينهما إلاّ بالحق** ﴾[1] فخلق السماء وما فيها والأرض وما عليها كان بالحق ومع الحق . فالحق ليس منفصلاً عن الخلق . فإذا لم يكن في العالم نظام وكتاب وحساب فهو عبث وباطل . . وإذا كان العالم بحيث كلٌّ يفعل كما يشتهي ويقول كما يحلو له ثم ينتهي كل شيء بلا حساب ولا ثواب ولا عقاب فهو مخلوق عبثاً . ولكن إذا كانت الدنيا تسير نحو الكمال ولهذه السفينة التي تبحر في عالم الطبيعة المتلاطم ميناء ترسو عنده باسم القيامة ، وبتعبير القرآن الدقيق ﴿ **إيّان مرساها** ﴾[2] يسألون عن يوم القيامة متى ترسو هذه السفينة الماخرة في بحر عالم الطبيعة المتلاطم والصاخب ؟ وأين هو ذلك الميناء ؟ فإذا كان لهذه السفينة مكان ترسو فيه وتخلد إلى الهدوء من جهد المسير فيكون حينئذ حقاً وعالم الحق . يقول القرآن : لم يُخلق العالم عبثاً بل خُلق بالحق ، وأنّ لهذا النظام مدّة معينة يصل إلى هدفه عند انتهاءها ﴿ **وأجل مسمّى والذين كفروا عمّا أنذروا مُعرضون** ﴾[3] فالكفار معرضون عمّا حذّرهم وخوّفهم منه الأنبياء وبيّنوا لهم العواقب الوخيمة للفساد .

وعندئذ يستدل القرآن ويقول : إنّ كلامكم وما تقولون مخالف للتوحيد الربوبي ، فهل دبّرت هذه الأصنام أمراً ؟ وهل رأيتم ما تنطقون به

---

(١) سورة الأحقاف، الآية: ٣.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٨٧.
(٣) سورة الأحقاف، الآية: ٣.